السورة الثانية عشرة

الهُمَزة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩ ﴾

هذه هي السورة الحادية عشرة حسب الترتيب التراجعيّ للسوَر، ومجموع كلمات السورة لا يتجاوز ٣٣ كلمة، ولكننا نكتشف فيها ما لا يقلّ عن ٦٠ موقعاً جديداً أحدثه القرآن الكريم في اللسان العربيّ.

إنّها واحدةٌ من أغنى سوَر القرآن الكريم بالمواقع اللغويّة الجديدة على مختلف جوانبها. وفيها، إلى ذلك، ما لا يقلّ عن سبعة ألفاظٍ لا تتكرّر في غيرها من السوَر: (هُمَزة، لُمَزة، عَدّده، أَخلَده، لَيُنبَذَنّ، الحُطَمَة، المُوقَدة) وما لا يقلّ عن سبعة تعبيراتٍ تقتصر عليها وحدها أيضاً دون باقي سوَر القرآن: (هُمَزةٍ لُمَزة، جمع مالاً وعدّده، كلاّ لَيُنبَذنّ، نارُ الله، تطّلعُ على الأفئدة، عليهم مؤصدة، عَمَدٍ ممدّدة)، فضلاً عن السبائك اللغويّة المتفرّدة التي اختصّت بها دون باقي السُّوَر.

أولاً: الألفاظ والمصطلحات

١- ويلٌ:

سبق أن تعرّضنا لهذا اللفظ في الآية ﴿فَوَيۡلٌ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ من سورة (الماعون)، ولدينا هنا ما نضيفه أيضاً.

لنسمع أولاً ما قاله ابن خالويه عن جدّة استعمال هذا اللفظ في القرآن الكريم:

"وقال آخرون: ويلٌ: معرفةٌ لأنه اسم وادٍ في جهنّم، فإن قيل: وهل تعرف العرب ذلك؟ فقل إنّ ألفاظ القرآن تجيء لفظاً عربيّاً مستعاراً، كما سمّى الله تعالى الصنمَ بعلاً، حيث اتُّخِذ ربّاً، والصنمَ عذاباً ورجزاً، فقال: والرُجزَ فاهجُر، لأنّ من عَبَد الصنم أصابه الرُجز، فسُمّي باسم مسبّبه، فلمّا كان الويل هلاكاً وثبوراً، ومن دخل النار فقد هلك، جاء أن يسمّى المصيرُ إلى الويل: ويلاً."[1]

وما يذهب إليه ابن خالويه هو أنّ القرآن كثيراً ما ينقل اللفظ من استعماله الحقيقيّ إلى استعماله المجازيّ. فإذا كان الويل في العربيّة هو مجرّد الهلاك أو العذاب، فقد منحه القرآن معنىً جديداً حين أطلقه، على مذهب بعض المفسّرين واستناداً إلى بعض الأحاديث غير الموثّقة، على اسم وادٍ في جهنّم يعاقَب فيه أصحاب النار، أو ربّما على جبلٍ في جهنّم، أو جبلٍ من النار فيها، وهو إذنْ، بهذا المعنى، مكان العذاب وليس العذابَ نفسَه.

والحقّ أن الاستعمال القرآنيّ لهذا اللفظ، بغضّ النظر عن معناه، حقيقيٌّ هو أم مجازيّ، يختلف غالباً عن استعمال العرب له، كما نتبيّن في الحالات الـ ١٣ التي وجدناها له في الشعر الجاهليّ. فهو يرِد في ١٠ حالاتٍ منها مضافاً إلى اللفظ (أمّ) وفي حالةٍ واحدةٍ أخرى مضافاً إلى (أب). كما في الأبيات:

يا ويلَ أمِّكمُ مِن جَمْعِ ســادتِنا كتائباً كالرُبى والقطرُ ينســكبُ

الحارث بن عبّاد (ت٧٤ ق.هـ)

---

(١) الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، مرجع سابق، ج٨، ص٤٠٧.

هلاّ عطفْتَ على أُخَيِّكَ إذ دعا بالثُكلِ ويلُ أبيكَ يابنَ أبي شَمَرْ

عمرو بن كلثوم (ت٣٩ ق.هـ)

ويْلُمِّ حيٍّ دفعتُمْ في نحورِهمُ بني كِلابٍ غداةَ الرُعْبِ والرَهَبِ

الطُفيل الغنوي (ت١٣ ق.هـ)

على حين نجده متعدّياً باللام في بيتين فقط:

له الويلُ إن أمسَى ولا أمُّ هاشمٍ قريبٌ، ولا البَسباسةُ ابنةُ يشكُرا

امرؤ القيس (ت٨٠ ق.هـ)

ويـــلٌ لشيبانَ إذا صبّحتُهـــا وأرسلـتْ بِيضُ الظُبا شُعاعَهـا

عنترة (ت٢٢ ق.هـ)

أمّا في القرآن الكريم ففي الحالات الـ ٤٠ التي يرد بها هذا اللفظ نجده يتعدّى في ٢٧ منها باللام -لاحظ الفرق الكبير في نسبة هذا الاستعمال بين كلٍّ من القرآن والشعر- ومنه قوله تعالى:

- ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩]
- ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطفّفين: ١]

وقد أضيف في بقية الحالات (١٣ حالة) إلى ضميرٍ (ضمير المتكلّم أو المتكلّمين أو المخاطب أو المخاطبين) وهذا ما لم يعرفه الشعر أبداً من قبل، كما في الآيات:

- ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ﴾ [هود: ٧٢]
- ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [الكهف: ٤٩]
- ﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ [الأحقاف: ١٧]
- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ ﴾ [القصص: ٨٠]

والأغرب من هذا ألاّ نجد في القرآن الكريم إضافةً واحدةً إلى الأب أو الأمّ، ولا في الحديث الشريف، وهي الصيغة التي استأثرت بمعظم حالات استعمال هذا اللفظ في الشعر الجاهليّ.

وهكذا نجد أنّ القرآن الكريم قد خالف الشعر الجاهليّ في ثلاثة أوضاع والتقى معه في وضعٍ واحدٍ من الأوضاع الأربعة التي استُخدم فيها هذا اللفظ، وهي حالة التعدّي باللام، مع ملاحظة عظم الفجوة بينهما حتّى في هذا الاستعمال (٢٧ / ٢). ويلخّص كلّ ذلك الجدول التالي:

الحالة	في القرآن الكريم	في الشعرالجاهلي
العدد الإجمالي	**٤٠**	**١٣**
مضاف إلى (أمّ)	–	١٠
مضاف إلى (أب)	–	١
متعدٍّ باللام	٢٧	٢
مضاف إلى ضمير	١٣	–

ويخلو الحديث الشريف من ثلاثةٍ من هذه الأوضاع، ويقتصر على وضع التعدّي باللام "ويلٌ للأعقاب من النار"[١] وينفرد بوضعٍ لا نجده في القرآن ولا في الشعر الجاهليّ، وهو التعريف بـ "ال" "يَدْعون بالويلٍ والثبور". [٢]

٢- هُمَزَة:

لفظٌ قرآنيٌّ محضٌ لا نعثر عليه أو على مشتقّاته في تراثنا الجاهليّ، ولا في تراثنا الإسلاميّ حتى القرن الرابع الهجريّ، ويخلو منه الحديث الشريف تماماً.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج١، ص٣٣، حديث رقم ٦٠.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد. **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط. ٢، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣، ج٧، ص٣١٠، حديث رقم ٧٢٤٢.

وفضلاً عن ذلك تختصّ سورة (الهُمزة) باللفظ، فلا يتكرّر في غيرها من سوَر القرآن الكريم.

٣- لُمَزَة:

وهو لفظٌ قرآنيٌّ آخر لا نجده، هو أو مشتقّاته، في الشعر العربيّ، لا قبل الإسلام ولا بعده. ولا يتكرّر اللفظ في القرآن في غير هذا الموضع، ويخلو منه الحديث الشريف أيضاً.

٤- عَدَّده:

رغم ورود اللفظ (عَدَد) -من غير تضعيفٍ- ٨ مرّات في الشعر الجاهليّ، لا نعثر عليه هناك أبداً بالتضعيف كما هو هنا، ولا على مشتقّاته.

وعلينا أن ننتظر حتى العصر الأمويّ لنجد اللفظ عند الفرزدق (ت١١٠هـ) أكثر من مرّة، كقوله:

كم فيكَ إنْ عُدِّد المعروفُ من كرمٍ ونائلٍ كخليج المُزبدِ الجاري

ومن الواضح أنّ المعنى القرآنيّ للفعل يختلف عن المعنى الشعريّ أو المألوف في لغتنا العاديّة، لأنّه في القرآن بمعنى: نوّعه، أو أكثر منه، أو عاد إليه مرّةً بعد أخرى، على حين لا يتجاوز الفعل في لغتنا معنى العدّ أو الإحصاء.

ومرةً أخرى تنفرد هذه السورة باللفظ، فلا يتكرّر ثانيةً في القرآن الكريم، ومرةً أخرى لا نعثر عليه في الحديث الشريف أيضاً.

٥- أَخْلَدَه:

أوّل مرّةٍ نعثر فيها على هذا اللفظ في الشعر العربيّ هي في القرن الخامس الهجريّ عند الشاعر عليّ الحصريّ القيروانيّ (ت ٤٨٨هـ)، ثم في القرن السابع عند المكزون السنجاريّ (ت ٦٣٨هـ) وقد استند هذا الأخير في استعماله إلى التعبير القرآنيّ:

وظَــنّ أنّ مــالَه أخلـــدهُ فكان ما ظَنَّ ولكنْ في سَقَرْ

فهو إذن، لفظٌ قرآنيٌّ لم يعرفه الشعر العربيّ قبل الإسلام، وهو –مرةً أخرى– لفظٌ خاصٌّ بهذه السورة لا يتكرّر في القرآن في غير هذا الموضع، ويخلو منه الحديث الشريف أيضاً.

ومن المهمّ أن نفرّق هنا بين الفعل الثلاثي اللازم (خَلُدَ) والمتعدّي بالتضعيف (خَلَّدَ) وبين المتعدّي بالهمزة (أخلَدَ). فنحن نستعمل في لغتنا العادية الفعل المضعّف فنقول: خلّدَ التاريخُ أبطالَنا، وقد نستعمله لازماً (أي في صيغةٍ لا يحتاج معها إلى مفعولٍ به) كقولنا: وهل يظنّ أنّه سيَخلُد في هذه الدنيا؟ ولكنّ القرآن الكريم يأتي من الفعل اللازم بصيغةٍ جديدةٍ (أخلَدَ) ليُكسبه بالهمزة قوّة المتعدّي فيصبح على وزن (أفعَلَ).

ونجد للفعل صيغتين أخريين في الشعر الجاهليّ والإسلاميّ –ولكن ليس الصيغة القرآنيّة طبعاً (أخلَد)– كما في قول زهير (ت ١٣ ق.ه):

لو كان يَخْلُدُ أقوامٌ بمجدِهِمُ أوْ ما تَقَدَّمَ مِن أيّامِهِمْ خَلُدوا

ولاحظ كيف كان بإمكان زهير أن يقول (لو أخلَدَ الله أقواماً) بدلاً من (لو كان يَخلُد أقوامٌ) من غير أن يعتور بحرَ البسيط، الذي جاء عليه البيت، أيُّ أذىً، ولكنّ هذا الفعل القرآنيّ لم يكن متداوَلاً آنذاك في قاموس الحياة اللغويّة عند العرب، ولم يدخل بعد ذلك في لغة الحديث الشريف، وظلّ إلى الآن بعيداً عن قاموسنا اللغويّ المعاصر.

٦– كلاّ:

يتكرّر هذا اللفظ في القرآن الكريم ٣٣ مرةً في صورةٍ لم يعهدها الشعر العربيّ من قبل، ولا من بعد، ولم يعرفها كذلك الحديث الشريف. ورغم ورود هذا اللفظ عدة مرّات في كلا الشعر العربيّ والحديث الشريف –ليس بالكثافة القرآنيّة على أيّة حال–؛ فإنّه يأتي فيهما بمعنى النفي أو تأكيد النفي، أو ردّاً لزعمٍ،

أو نفياً لإثبات يسبق هذا اللفظ أو يلحق به، كما نقول نحن اليوم: أتريدني أن أخون ضميري؟ كلاّ وألف كلاّ. وكما في هذه الأبيات:

أفبَعدَ مَقتَلِكمْ بُجَيراً عَنْوَةً ... تَرجُونَ وُدّاً آخِرَ الأيّامِ
كلاّ وربِّ الراقصاتِ إلى مِنىً ... كلاّ وربِّ الحِلِّ والإحرامِ
الحارث بن عبّاد (ت٧٤ ق.هـ)

أخشى عليها ولو لا ذاكَ ما وقفتْ ... ركائبي بين وِردِ العَزمِ والصَدَرِ
كلاّ ولا كنتُ بَعد القُربِ مقتنعاً ... منها، على طولِ بُعدِ الدّار، بالخَبرِ
عنترة (ت٢٢ ق.هـ)

كلاّ زعمتمْ بأنّا لا نقابلُكم ... إنّا لأمثالِكمْ يا قومَنا قَتَلُ
الأعشى (ت٧هـ)

فقلتُ لهم خلّوا النّساءَ لأهلِها ... فقالوا لنا: كلاّ، فقلنا لهم: بلى
النابغة الجعديّ (ت٥٠هـ)

فالحارث ينفي باللفظ (كلاّ) في البيت الثاني ظنونَ القوم وآمالهم بالعفو والصلح معهم بعد قتلهم لبُجَير، وعنترة يؤكّد نفيه في بيته الثاني لِما سبق أن نفاه في البيت الأول، والأعشى ينفي زعماً لأعدائه سيذكره بعد (كلاّ)، والنابغة يستعمل اللفظ بمثابة حرف جواب، مثله مثل: (نعم) و (لا) و (بلى).

ويتأكّد لنا تميّز الاستعمال القرآنيّ عن الاستعمال النبويّ أيضاً لو استعرضنا الأحاديث الثلاثة الآتية:

- رأى عيسى بنُ مريمَ عليه السلام رجلاً يسرق، فقال له: أسرقتَ؟ قال: كلاّ والله الذي لا إله إلاّ هو، فقال عيسى: آمنتُ بالله وكذّبتُ عيني[1]
- قال سعدُ بنُ عبادة: يا رسولَ الله، لو وجدتُ مع أهلي رجلاً، لم أمَسَّه حتى آتيَ بأربعةِ شهداء؟! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم. فقال: كلاّ والذي بعثكَ

(١) القشيري، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، ج٤، ص١٧٣٨، حديث رقم ٢٣٦٨.

بالحقّ، إنْ كنتُ لأعاجلُه بالسيف قبل ذلك. فقال رسول الله ﷺ: اسمعوا إلى ما يقول سيّدُكم!! إنّه لغَيور، وأنا أغيَرُ منه، واللهُ أغْيَرُ منّي[1]

- .. كلاّ واللهِ، لَتَأمُرُنَّ بالمعروف، ولَتَنهَوُنَّ عن المنكر، ولتأخُذُنَّ على يدِ الظالم، ولتَأطُرُنَّه على الحقِّ أَطْراً، ولَتَقْصُرُنَّه على الحقِّ قَصْرا[2]

لقد جاء اللفظ في الحديث الأول على لسان السارق وهو ينفي أمام عيسى عليه السلام أنّه سرق.

وجاء في الحديث الثاني على لسان سعدٍ رضي الله عنه ينفي قدرته على أن ينتظر حتى يأتي بأربعة شهودٍ إذا رأى الزنى في أهله.

وجاء الحديث الثالث –وهو في الأصل حديثٌ طويل– على لسان الرسول نفسه، بعد أن حكى لنا ﷺ كيف كان اليهود لا يتناهَون عن منكرٍ فعلوه، فحذّرنا من ذلك بقوله: كلاّ واللهِ.. وهي جميعاً معانٍ لا تخرج عمّا عهدناه، وما نزال نعهده، من أبواب استعمال هذا اللفظ، وإن كان استعمال النبيّ ﷺ له في الحديث الأخير أقربَ من الحديثين اللذين سبقاه إلى الاستعمال القرآنيّ.

أمّا اللفظ القرآنيّ فيضعنا مرغمين أمام تساؤلاتٍ عديدةٍ ونحن حائرون: تحت أيّ صنفٍ من المعاني التي عهدناها لهذا اللفظ نضعه؟! ولنقرأ معاً هذه الآيات الكريمة:

- ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [المعارج: ٣٦ – ٣٩]

- ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾ [عبس: ٢٠ – ٢٣]

(١) المرجع السابق، ج٢، ص١١٣٥، حديث رقم ١٤٩٨.

(٢) البيهقي، **سنن البيهقي الكبرى**، مرجع سابق، ج١٠، ص٩٣، حديث رقم ١٩٩٨٣.

- ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴾ [المطفّفين: ١٣ – ١٩]

- ﴿ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ١٩ – ٢٢]

- ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ [التكاثر: ١ – ٥]

ففي آيات (المعارج) قد يتبادر إلى الذهن أنّ (كلاّ) جاءت لتنفي آمال الكافرين بأن يدخلوا الجنّة، ونتوقّع، من ثمّ، أن يأتي بعدها ما هو موضِّحٌ ومؤكِّدٌ لهذا النفي، أي شيءٌ من هذا القبيل: (كلاّ لن يدخلوا الجنّة)، ولكنّنا نفاجأ بأنه يلتفت إلى شأنٍ آخر، فيتحدّث عن عمليّة خَلقِهم، ويذكّرهم بما كانوا عليه من حقارة شأنٍ قبل هذا الخَلق.

أمّا في آيات (عبَس) فيحدث العكس؛ إذ تتحدّث الآيات الأولى عن خلق الإنسان وموته وبعثه، فنتوقّع أيضاً أن يكون ما بعد (كلاّ) نفياً لشيءٍ يتعلّق بما قبلها، كأن يقال مثلاً: (كلاّ لمّا تنقضِ مراحل مصيره كلُّها بعد، فهناك أيضاً الحساب، والجنّة أو النار بانتظاره)، ولكنّنا نفاجأ بالالتفات إلى نفي قيام الإنسان بما أمره به ربّه في الحياة الدنيا، وتقريعِه على ذلك.

ومن الواضح في آيات (المطفّفين) أنّ (كلاّ) الأولى جاءت زجراً لمن أُغلِقت قلوبهم (أي عقولهم) فوصفوا ما جاء به الرسول ﷺ من عند ربّه بأنّه أساطير، فينبّئهم الله تعالى بما ينتظرهم من عذابٍ جزاءَ تكذيبهم، ونتوقّع أن يجري السياق بعد (كلاّ) الثانية تأكيداً لهذا المعنى، أو نفياً لمزاعمهم -كما كان في الأولى- ولكننا نفاجأ بالانتقال بعدها من الحديث عن جزاء الكافرين إلى الحديث عن جزاء المؤمنين.

طبعاً تلاحظون معي أنّ هناك مقابلةً مقصودةً بين النهايتين المتناقضتين لهؤلاء وهؤلاء، وهذا هو دور (كلاّ) هنا: تغيير "إشارة المرور" ليتحوّل السياق من موضوعٍ إلى آخر، قد يكون نقيضَه تماماً، كما هو هنا، وكما هو في آيات (الفجر) و(التكاثُر)، وكما هو كذلك في آيات (الهُمزة) التي نحن بصددها، ولكنّه قد يقتصر على مخالفته له، قليلاً أو كثيراً، كما في آيات (المعارج) و (عبس).

٧ – لَيُنبَذَنّ:

رغم وجود اشتقاقات هذا الفعل في الشعر الجاهليّ، وكذلك في الحديث الشريف، فإننا لا نعثر عليه فيهما بهذه الصيغة القرآنيّة الخاصّة: القَسَم التأكيديّ لصيغة الغائب المبنيّ للمجهول. ورغم أنّ الموسوعات الضوئيّة لا تساعدنا في هذه المرحلة على التأكّد من وجود صيغة القسم هذه، من أي فعلٍ كانت، فأنا أشكّ في أنّها كانت معروفةً على الإطلاق قبل نزول القرآن.

ومرّةً أخرى تختصّ سورة (الهُمزة) بهذه الصيغة للّفظ فلا تتكرّر في القرآن أبداً. ولم أجد الفعل (نبذ) في الحديث الشريف متعدّياً بالحرف (في) كما هو هنا، ومن ثمّ لم أجده فيه بالمعنى القرآنيّ، وإنّما جاء متعدّياً بنفسه فيكون بمعنى (نبَذَ النبيذ)، أو بمعنى (أعطى) "ينبُذُ الرجلُ إلى الرجل الثوبَ"،[1] أو متعدّياً بـ (إلى)، فيكون بمعنى (يبثّ) أو (يوحي) كما في حديث الرسول ﷺ عن نزول جبريل عليه بالوحي "فيَنبُذه إلي".[2]

٨– ٩– الحُطَمَة (مكرّر):

لم أجد هذا اللفظ في الشعر الجاهليّ، وإنّما نعثر فيه مرةً واحدة على (حُطْمَة) –بتسكين الطاء– وهي سَنَة القحط الشديدة، وذلك في قول ذي الخِرَق الطُهَويّ (ت؟):

---

(١) النسائي، **المجتبى من السنن**، مرجع سابق، ج٧، ص٢٦٠، حديث رقم: ٤٥١٣.

(٢) المرجع السابق، ج٢، ص١٤٦، حديث رقم: ٩٣٣.

إنّا إذا حُطْمَةٌ حَتّتْ لنا ورَقاً نمارسُ العُودَ حتّى يَنبُتَ الورقُ

وقد عثرت عليها في الحديث الشريف مرةً واحدة، وجاءت فيه بمعنى الراعي الذي يشتدّ على غنمه في سَوقه لها حتى يَحطم بعضُها بعضاً:

- أنّ عائذ بن عمرو دخل على عُبيد الله بن زياد فقال: أيْ بُنيّ، إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنّ شرَّ الرِّعاء الحُطَمَةُ" فإيَّاك أن تكون منهم..[1]

واللفظ يرد مرّتين في القرآن، كلتاهما في هذه السورة القصيرة.

ومن الواضح أن القرآن الكريم قد أعطى هذا اللفظ معنىً جديداً تماماً، وسيصبح منذ الآن اسماً من أسماء جهنّم.

١٠- تطَّلع:

لا نعثر على هذا اللفظ أو مشتقّاته في الشعر الجاهليّ، لا بالمعنى القرآنيّ، وهو الكشف والإظهار، ولا بغيره، وإنما نجد اللفظ (تَطَلَّعُ) بمعنى (تَطلُع) أو (تخرج) وربما بمعنى (تنظر) وذلك عند الشاعر عمرو بن قُميئة (ت٨٥ ق.هـ):

ويــومٍ تَطَلَّــعُ فيــه النفــو سُ تُطـرِّفُ بالطّعنِ فيه الرجالا

ويتكرّر اللفظ مرةً أخرى في سورة (المائدة). ولم أجده في الحديث الشريف.

١١ - الأفئدة:

لا وجود لهذا اللفظ في الشعر الجاهليّ بصيغة الجمع هذه أبداً، رغم أنّ الصيغة تتكرّر في القرآن الكريم ١١ مرة. ولا وجود له في الحديث الشريف إلاّ أن يرد في سياق آية.

---

(١) القشيري، **صحيح مسلم**، مرجع سابق، ج٣، ص١٤٦٣، حديث رقم ١٨٣٠.

١٢ – مؤْصَدَة:

هذا أيضاً من الألفاظ التي سنستغرب لو عرفنا أنها لا ترِد مطلقاً، هي أو مشتقّاتها، مهموزةً أو مخفَّفةً بالواو (موصدة)، لا في الشعر الجاهليّ ولا في الحديث الشريف.

وأوّل استعمالٍ لأحد اشتقاقاتها في الشعر العربيّ نجده عند مجنون ليلى (ت٦٨هـ) في قوله:

وعهدي بليلى وهي ذاتُ مؤصَّدٍ تــردُّ علينــا بالعشيِّ المواشـيا

والمؤصّد هنا قميصٌ تلبسه صغار الفتيات تحت الثوب، ويقابله الدرع عند كبارهنّ، وقد ذُكر الاثنان معاً بعد ذلك في بيتٍ لكثيّر عزّة (ت١٠٥هـ)؛ إذ يقول:

وقد درّعوها وهْي ذاتُ مُؤصَّدٍ مَجوبٍ ولمّا يَلبَسِ الدِرعَ رِيدُها

أمّا اللفظ نفسه فعلينا أن ننتظر قرنين آخرين لنعثر عليه لأوّل مرة في الشعر العربيّ، وفي وصف جهنّم أيضاً، عند ابن الروميّ (ت٢٨٣هـ) وذلك قوله:

تراهُ عيونُ الناظرين ودونَهُ حجابٌ وبابٌ من جهنَّم مُؤصَدُ

ثانياً: الصيغ والعلاقات اللغويّة

١ – ويلٌ:

من الواضح أنّ ابتداء الحديث بنكرة، سورةً كان هذا الكلام أو أيَّ فنٍّ أدبيٍّ عرفناه، أمرٌ لم تعتده الأذن العربيّة.

فأن تبدأ جملةٌ أو بيتٌ من الشعر بنكرةٍ ليس أمراً خطيراً، رغم أنه ليس مألوفاً كثيراً أيضاً، ولكن أن يبدأ بها فصلٌ كاملٌ من كتاب فهذا أمرٌ غير عاديٍّ ويستحقّ التوقّف عنده.

هل يتوقّع الوالدان، مثلاً، أن يتسلّما من المدرسة يوماً رسالةً تبدأ هكذا:

السيّد فلان، تحيّةً وبعد،

طرْدٌ لولدكم من المدرسة لأنّه...؟

إنّ سور القرآن الكريم تخلو من مثل هذا الابتداء بالنكرة، إلاّ أربع سور، كما سبق أن رأينا في الجزء الأوّل من هذا الكتاب:

أ- التوبة، وقد بدأت بقوله تعالى: ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾،

ب- النور، وتبدأ بقوله تعالى: ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا ﴾،

ت- والمطفّفين، وتبدأ بقوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾،

ث- والهُمَزة.

وإذن، فسورتان من السور الأربع بدأتا بالنكرة نفسها (ويلٌ). ولعلّ ممّا سهّل هذا الابتداء بنكرة هو الذي جعل بعضهم يذهب إلى أن اللفظ اسم علمٍ لوادٍ أو جبلٍ في جهنّم، فتكون السورتان، وفق ذلك التفسير، قد ابتدأتا بمعرفة.

وقيل إنّ ممّا سوّغ الابتداء بهذا اللفظ ما تضمّنه من معنى الدعاء.

أمّا اللفظ (براءة) في مطلع سورة (التوبة) واللفظ (سورةٌ) في مطلع سورة (النور) فيخفّف من تنكيرهما أنّهما موصوفان بإلحاقهما تعالى في الأولى بقوله: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ أي: براءةٌ آتيةٌ منهما، وفي الثانية بقوله: ﴿ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا ﴾ أي: مُنزَلةٌ ومفروضة. والمعروف أنّ إلحاق النكرة بصفةٍ يقرّبها من مرتبة المعرفة.

ورغم وجود بعض المذاهب التي تسوّغ الابتداء بنكرة، أحياناً، تحتفظ هذه الحالة بقوّتها وفرادتها، لأنها، كما قدّمنا، ليست مجرّد ابتداءٍ لجملةٍ أو بيت، وإنما هي ابتداءٌ لعملٍ أدبيٍّ كامل.

٢- ويلٌ لكلّ:

هذا التعبير خاصٌّ بالقرآن وحده، إذ لا وجود له في الشعر الجاهليّ -كما رأينا من استعمالات اللفظ (ويل)- ولا وجود له في الحديث الشريف أيضاً، ولا يتكرّر في القرآن إلاّ مرّتين، كما أسلفنا.

٣- هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ:

هذا تعبيرٌ قرآنيٌّ خاصٌّ لم يسمعه العرب في الجاهليّة، ولا يتكرّر في القرآن أبداً، ولا وجود له في الحديث الشريف.

٤- الذي:

من المعروف أنّ الاسم الموصول هو أحد المعارف السبع في اللغة العربيّة، ومن أعرافنا النحويّة أن توصف المعرفة بمعرفة، والنكرة بنكرة، وهذا ما لم يحدث هنا.

نقول:

انهمر مطرٌ غزيرٌ، أو:

انهمر المطرُ الغزير..

ولا نقول:

انهمر مطرٌ الغزيرُ، ولا:

انهمر المطرُ غزيرٌ

فالاسم الموصول (الذي) جاء في السورة صفةً لأحد اللفظين (هُمزة) أو (لُمزة) أو للاثنين معاً، وكلاهما نكرة، وهو معرفة.

ولا نجد هذا النوع من الوصف في الشعر الجاهليّ، ولا في القرآن الكريم، ولا في الحديث الشريف، إلاّ ما جاء في روايةٍ واحدةٍ تخالف رواياتٍ أخرى للدعاء النبويّ المأثور:

- اللهمّ ربَّ هذه الدعوةِ التامّة والصلاةِ القائمة، آتِ محمّداً الوسيلةَ والفضيلة، وابعثْه مقاماً محموداً الذي وعدتَه[1]

فوُصِفت النكرة (مقاماً) هنا، خلافاً للروايات الأخرى، بالاسم الموصول (الذي). ورغم أنّ وصفها بـ (محموداً) يخفِّف من تنكيرها ويقترب بها من حدود المعرفة فإنّها تَرِد في الروايات الأخرى معرفةً هكذا "وابعثْه المقامَ المحمودَ الذي وعدتَه"[2] فينتفي معها الشاهدُ في الحديث.

وفي القرآن أكثر من حالةٍ شبيهةٍ بهذه الحالة، ولكن مع غير الاسم الموصول، ممّا سبّب للنحويين حيرةً لخّصها ابن هشام بقوله:

"إنّ (الذي) -في الهُمَزة- بدلٌ، أو صفةٌ مقطوعة، بتقدير: هو، أو: أذمّ، أو: أعني، هذا هو الصواب، خلافاً لمن أجاز وصف النكرة بالمعرفة مطلقاً، ولمن أجازه بشرطِ وصفِ النكرة أولاً بنكرة، وهو قول الأخفش"[3].

٥- الذي جمع مالاً وعدّده:

تمثّل هذه الآية ظاهرةً قرآنيّةً مرّت بنا في سورة (الماعون)، وتتكرّر كثيراً في القرآن الكريم، ولا نجدها في غيره.

فالآية تبتدئ باسم موصول، وهو صفةٌ أو بدلٌ من (هُمزة) أو (لُمزة) كما رأينا، وهي حالةٌ تختلفُ بها عن الآيات التي ربما تبتدئ باسم موصولٍ، ولكن يُسبَق عادةً برابطٍ يربطه بما قبله (الواو أو الفاء مثلاً) كقوله تعالى:

- ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ ﴾ [النساء: ١٦]
- ﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ [النساء: ٣٤]

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج١، ص٢٢٢، حديث رقم: ٥٨٩.

(٢) البستي، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، مرجع سابق، ج٤، ص٥٨٦، حديث رقم ١٦٨٩.

(٣) ابن هشام الأنصاري، جمال الدين عبد الله بن يوسف. **مغني اللبيب عن كلام الأعاريب**، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، بيروت: دار الفكر، ١٩٨٥م، ص٧٤٧.

ولم أعثر على أيّ بيتٍ جاهليّ، وربما غير جاهليّ، يبدأ بـ (الذي) أو مشتقّاتها، مذكَّرةً كانت أو مؤنّثة (الذين، اللذان، التي، اللتان، اللواتي، اللائي) إلاّ أن تسبقها أداةٌ أو رابطٌ (هي غالباً الأداة: إنّ) كقولهم:

إنّ الذي يقبضُ الدنيا ويبسُطها إن كان أغناكَ عنّي سوف يُغنيني

ذو الأصبع العدواني (ت٢١ ق.هـ)

إنّ التي علِقَتْ بها آمــالُنا دارٌ تَصَرَّفُ كالظِلالِ الأُفَّــلِ

عبد الله اليَشكُريّ (ت؟)

٦- جمَعَ مالاً:

لو تركنا لأنفسنا أن نعبّر عن هذا المعنى نفسه بلغتنا فماذا يمكن أن نقول؟ دعونا نجرّب:

جمع المال

جمع مالاً وفيراً

جمع المال الكثير

جمع كثيراً من المال

جمع مال الدنيا

يمكن أن نقول كلّ هذا، وغيرَه أيضاً، ولكنّنا لن نقول (جمع مالاً) -بتنكير (مالاً)- ثم نتركها هكذا من غير أيّ وصفٍ أو إضافة.

إنه إذن، تعبيرٌ خاصٌّ بالقرآن لا تشاركه فيه صيغ البشر، ولا صيغ الحديث الشريف. وقد قيل في تفسير هذا التنكير إنه تحقيرٌ لشأن هذا المال المجموع.

٧- جمع مالاً وعدّده:

مرّةً أخرى حاولوا معي أن تعبّروا عن هذا المعنى القرآنيّ بالطريقة البشرية، فماذا يمكن أن نقول؟ دعونا نجرّب مرّةً أخرى مستنيرين بالمعاني التي اقترحها المفسّرون لهذه الآية:

جمع المال وراح يعدّه كلّ يوم

جمع المال وانكبّ عليه يعدّه ويحصيه

جمع المال وأكثر من تعداده

جمع المال بأشكاله المتعدّدة

جمع المال الكثير وأعدّه لحياته

وهكذا ترون أنّ من المحتمل أن نقول أيّ شيءٍ إلاّ ﴿ جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴾.

٨- يَحسَبُ أنّ مالَه أَخلَدَه:

وهذه آيةٌ جديدةٌ أخرى لا يربطها بما قبلها أيّ رابطٍ لغويّ، كالواو أو الفاء أو (إنّ) أو غيرها، ولو تُرك الأمر للغتنا البشريّة لقلنا:

وهو يحسَب، أو:

إنّه يَحسب، أو:

وقد حسِب، أو:

ويحسَب..

٩- أنّ مالَه:

إن تكرار اللفظ (مال) هنا، بعد ثلاث كلماتٍ فقط من ذكره في الآية السابقة، أمرٌ لافتٌ للنظر.

ولو أعدنا صياغة الآيتين بلغتنا البشريّة -مع مراعاة الإبقاء على الشكل القرآنيّ للأجزاء الأخرى- لقلنا:

الذي جمع مالاً يحسب أنّه أخلده

يقول الشوكاني في هذا: "والإظهار في موضع الإضمار للتقريع والتوبيخ".[1] وبغضّ النظر عن المغزى من وراء هذا التكرار، فإنه أسلوبٌ قرآنيٌّ خاصٌّ بهذا الموضع وحده.

١٠ - أخلَدَه:

هذا فعلٌ ماضٍ حقاً، ولكنّه في معنى المضارع. وحاولوا أن تعبّروا بلغتكم عن هذا المعنى، إذن لقلتم:

يحسب أنّ ماله سيُخلّده

هكذا بالمضارع، وكذلك بتشديد اللام على أنه من الفعل: خلّد، كما سبق أن رأينا.

١١- كلاّ لَـ:

رغم ورود (كلاّ) في القرآن (٣٣) مرّة؛ لم تتبعها (لام التوكيد، أو اللام الرابطة لجواب القسم) إلاّ في هذه الآية، وإنما تبعتها لامٌ أخرى يسمّيها النحاة (الموطئة للقسم) في آيةٍ واحدةٍ أخرى، وذلك قولُه تعالى:

- ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ [العلق: ١٥]

ولم يعرف الشعر الجاهليّ مثل هذا الاستعمال، ولا الحديث الشريف.

---

(١) الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير**، مرجع سابق، ج٥، ص٧٠٢.

١٢- الحُطَمة:

نحن هنا أمام صورةٍ بيانيّةٍ جديدةٍ على الخيال العربيّ، تَعرض لقطةً سريعة، ولكن عميقةٌ وحادّة، لمنظر جهنّم وهي تَحْطِم ما فيها ومن فيها ممّن قُدّر له أن يُعاقَب بها.

إنّها صورةٌ حيّةٌ كاملةٌ في لفظٍ واحد، ولم يعرفها العربيّ قبل الإسلام.

١٣- وما أدراك:

قد يُفاجأ أحدنا لو علم أن هذا التعبير، لم يعرفه الشعر العربيّ قبل الوحي ولا بعده حتى مجيء ابن الرومي (ت٢٨٣هـ). ويكرّره هذا الشاعر عدّة مرّاتٍ في إحدى مقطوعاته الخفيفة فيقول:

وما أدراكَ ما الليـــثُ وما غـــرَّك بالبَبْـرِ
وما أدراكَ ما الســيـلُ وما غـــرَّك بالبحـرِ
وما أدراكَ بالمـــوتِ وما غـــرَّك بالدهـرِ

وسنعجب أكثر لو علمنا أنّ هذا التركيب لا يرِد في الحديث الشريف أيضاً، رغم تردّده في القرآن الكريم (١٣) مرة. وفي الحالة الوحيدة التي ورد بها في الحديث الشريف جاء بصيغة السؤال الحقيقيّ، وهي الصيغة التي نستعملها في لغتنا العاديّة اليوم حين نريد أن نقول لأحدهم: كيف عرفتَ بالأمر؟ جاء في (صحيح البخاري):

- عن أبي سعيد الخُدْريّ ﷺ أنّ ناساً من أصحاب النبيّ ﷺ أتوا على حيٍّ من أحياء العرب، فلم يَقْرُوهم (أي يضيّفوهم)، فبينما هم كذلك؛ إذ لُدغ سيِّد أولئك، فقالوا: هل معكم من دواءٍ أو راقٍ؟ فقالوا: إنّكم لم تَقرونا، ولا نفعلُ حتى تجعلوا لنا جُعْلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء. فجعل يقرأ بأمّ القرآن، ويجمع بُزاقَه ويَتفِل، فبرأ. فأتَوا بالشاء فقالوا: لا نأخذُه حتى

نسألَ النبيَّ ﷺ. فسألوه، فضحك وقال: "وما أدراكَ أنّها رُقْيَة؟ خذوها، واضربوا لي بسهمٍ"[1]

وواضحٌ أنّ الاستعمال النبويّ يختلف تماماً عن الاستعمال القرآنيّ، إنّه في القرآن جملةٌ إخباريّةٌ تعجّبيّةٌ تشير إلى استعظام الشيء واستكباره، وهو في الحديث جملةٌ إنشائيّةٌ محضُ استفهاميّة.

وربّما كان من المفيد أن نذكر هنا ما لاحظه القدماء بخصوص هذا التركيب، وهو أنّ كلّ ما ورد منه بصيغة الماضي في القرآن فقد أخبر به تعالى بعده، كما أخبرنا هنا بعد قوله (ما أدراك) بقوله (نارٌ حامية)، وكلّ ما ورد منه في صيغة المضارع (وما يُدريك) لم يُخبِر به أبداً بعد الفعل بل ظلّ معلّقاً.

١٤ – نارُ الله الموقَدة:

مرةً أخرى تبدأ الآية من غير رابطٍ لغويٍّ يربطها بما قبلها، ولو جرى هذا السياق على لساننا لقلنا:

إنّها نار الله، أو:

هي نار الله،

فلا نبدأ الجملة في لغتنا الرسميّة، ولا أقول اليوميّة أو العاميّة، بخبر حُذف اسمه –إنْ أعربْنا (نارُ) كذلك– ولا ببدلٍ من لفظٍ ورد في جملةٍ سابقة –إنْ أعربْنا (نار) بدلاً من (الحُطمة)–.

١٥– نارُ الله:

لأوّل مرّةٍ يسمع العربيّ بشيء اسمه (نار الله)؛ إذ لم تعتد أُذُنه من قبلُ إضافةَ لفظ (النار) إلى لفظ الجلالة (الله). وتختصّ سورة (الهُمزة) بهذا التعبير الجديد، فلا يتكرّر في أيٍّ من السور الأخرى، ولا نجده في الحديث الشريف أيضاً.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج٥، ص٢١٦٦، حديث رقم ٥٤٠٤.

١٦- التي تطّلعُ على الأفئدة:

ينطبق على هذه الآية ما انطبق على الآية الثانية (الذي جمع مالاً وعدّده) من ابتدائها بالاسم الموصول (التي) بغضّ النظر عن محلّه من الإعراب.

١٧- تطّلع على الأفئدة:

هذا تعبيرٌ قرآنيٌّ جميلٌ وجديدٌ على لغتنا، بل صورةٌ بيانيّةٌ تصف وصول آلام عذاب النار إلى قلوب المعذَّبين، أو، بحسب تفسيرٍ آخر، تصف معرفة النار بمقدار ما يستحقّه كلُّ واحدٍ منهم من العذاب حسب عمله، أو، بتفسيرٍ ثالث، تصف كيف تحرق باطنَ الإنسان كما تحرق ظاهرَه، بخلاف نار الدنيا.

ولم يتكرّر هذا التعبيرُ/ الصورةُ في القرآن، ولا في الحديث الشريف، ولا في تراثنا العربيّ بعد ذلك إلى اليوم.

١٨- إنّها عليهم مؤصَدة:

لا نجد في مطلع هذه الآية الرابط اللغويّ الذي يربطها بما قبلها والذي كانت تتوقّعه لغتنا البشريّة، فنحن نقول هنا:

فإنّها عليهم مؤصدة، أو:

فهي عليهم مؤصدة، أو:

وهي عليهم مؤصدة

١٩- عليهم:

لقد ظلّ الحديث طوال السورة محصوراً بالمفرد الغائب (هو) وضميره (الذي، جمَعَ، عدَّده، يحسب، أخلده، لَيُنبَذَنّ) ولكنّه انقلب فجأةً هنا إلى ضمير الجماعة (هم)، ليشمل كلّ من يعذَّبون في نار جهنّم.

ومن ناحيةٍ أخرى نجد الحديث وقد تحوّل عند هذا اللفظ من حالة غير العاقل (الأفئدة) إلى حالة العاقل؛ أي أصحاب الأفئدة، فاستعمل هنا ضمير جماعة العقلاء (هم).

وهكذا يدخل التعبير تحت فنّ الالتفات لأحد سببين:

أ – إمّا لإعادة الضمير في (عليهم) إلى مقدّمة السورة فهو إذن، التفاتٌ من المفرد هناك إلى الجمع هنا،

ب – وإمّا لإعادته إلى (الأفئدة) فهو إذن التفاتٌ من غير العاقل إلى العاقل.

٢٠– إنّها عليهم مُؤْصَدَة:

لا نجد هذا التعبير، أو التركيب، في أيٍّ من أشكال تراثنا، لا قبل الإسلام ولا بعده، ولا في الحديث الشريف، كما تختصّ هذه السورة به فلا يتكرّر في غيرها أبداً.

٢١– في عَمَدٍ ممدّدة:

مرةً أخرى تبدأ الآية من غير رابطٍ لغويٍّ يربطها بما قبلها. ولو عدنا إلى تقاليدنا اللغويّة البشريّة لقلنا:

وهم في عَمَدٍ، أو:

وإنها في عَمَدٍ، أو:

وهي في عَمَدٍ ممدّدة ..

٢٢– عَمَدٍ ممدّدة:

هذا وصفٌ غريبٌ على الأذن العربيّة، وقد تكون هذه الأعمدة (العَمَد) أعمدةً حقيقيةً يعذَّب بداخلها أهلُ النار بعد أن أُوصِد عليهم فيها، كما يذهب بعض

المفسّرين، أو هي أعمدةٌ مرتفعةٌ تحيط بهم في جهنّم فلا منفذ لهم للخروج، كما يذهب غيرهم، أو قد تكون أغلالاً يقيَّدون بها هناك، كما ذهب آخرون.

وأيّاً ما كان يشير إليه لفظ (عمَد)، فإنّ هذا التعبير الثنائيّ فاجأ العرب أوّل ما سمعوه، وما يزال يفاجئنا حتى اليوم، لأنّ تراثنا خلا منه بعد ذلك، وما يزال، كما يخلو منه الحديث الشريف.

وتختصّ السورة بهذا التعبير فلا يتكرّر في سائر سور القرآن الكريم.

ثالثاً: السبائك القرآنيّة

لو عدنا إلى تجربتنا العمليّة التي ساعدتنا على تمييز طبيعة السبائك القرآنيّة الجديدة، وعلى اكتشاف هذه السبائك في سورة (الكوثر)، فسنجد أنّ من السهل علينا الآن اكتشاف السبائك الستّ التالية في سورة (الهُمزة):

١- ويلٌ لكلّ هُمَزَةٍ لُمَزَة:

لقد اجتمع في هذه الآية الكاملة ما اجتمع من عناصر سبق أن تحدّثنا عن بعضها، وذلك حين أثبتنا فَرادة معنى (ويل)، وجدّة اللفظين (هُمزة ولُمزة)، واستقلاليّة التركيب (ويلٌ لكلّ).

فإذْ توحّدت عناصر الجدّة هذه جميعاً تحت مظلّة آيةٍ واحدة، وإذْ سُبك بعضها إلى بعضٍ في هذا الترتيب النحويّ الخاصّ جدّاً، الذي يبدأ بنكرةٍ -أو باسم علمٍ أخذ شكل نكرةٍ (ويل)- ثم تبعه اللفظ (لكلّ) الذي ينقل الآية من خصوصيّة حادثةٍ فرديّةٍ وقعت للرسول الكريم ﷺ مع أحد المشركين (قيل هو الوليد بن المغيرة، أو أميّة بن خلف، أو جميل بن عامر الجُمَحيّ، أو الأخنس بن شُريق، أو أبيّ بن عمر) إلى قاعدةٍ أخلاقيّةٍ أزليّةٍ لا يحدّها زمانٌ أو مكان..

وإذْ أضيف اللفظ (كلّ) بعد هذا كلّه إلى التركيب القرآنيّ العجيب الذي

جمع بين لفظين غريبين جديدين (هُمَزة لُمَزة) وقد جاءا دراكاً على وزنٍ واحدٍ غير مشتهرٍ أيضاً (فُعَلَة)، تبيّنّا عند ذلك أيَّة سبيكةٍ جديدةٍ اختصّ بها القرآن الكريم وحده، واختصّت بها هذه السورة.

٢- الذي جمع مالاً وعدّده:

سبيكةٌ قرآنيّةٌ أخرى سبق أن تحدّثنا عن عددٍ من جزئيّاتها: ابتداء الآية بـ(الذي)، وصفُ النكرة بمعرفة (هُمَزةٍ لُمَزةٍ. الذي)، تنكيرُ (مالاً)، جدّةُ اللفظ (عدّده)، جدّةُ التعبير ﴿ جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴾.

ولا شكّ أنّ التقاء هذه العناصر المتفرّدة جميعاً في جملةٍ واحدة، أو بالأحرى في آيةٍ كاملة، وبهذا البناء القرآنيّ الخاصّ، يجعل من الآية سبيكةً قرآنيّةً متفرّدةً نستطيع تمييزها عن بُعد، حتى إن أُدخِلت بين عشرات الجمل البشريّة الأخرى.

٣- يَحسَبُ أنّ مالَه أخلده:

وهذه السبيكة القرآنيّة تقوم أيضاً على التفرّد النحويّ في مطلعها. وقد بدأت بجملةٍ حاليّةٍ لم يربطها بصاحبها (الهُمزة اللُمزة) الرابطُ المعتاد، فلم يقل مثلاً:

وهو يحسَب، أو:

حاسباً، أو:

وقد حسِب.

وتقوم كذلك على جدّة اللفظ (أخلده) وتفرّدِه القرآنيّ، وكذلك على عدم ارتباطه بالرابط المعتاد؛ إذ نقول في لغتنا: (قد أخلده). وتقوم أخيراً على إطلاق هذا الفعل الماضي على المستقبل، والمعنى: (سيُخْلِده).

٤- كلاّ لَيُنبَذَنّ:

لو بحثنا عن هذه السبيكة القرآنيّة، على صغرها، في تراثنا كلّه لما وجدنا شبيهاً لها أو لنظامها النحويّ الغريب، لا في الشعر ولا في النثر، ولا في الحديث

الشريف، فكيف يجتمع هذا النهي أو الزجر، أو النفي، في (كلاّ) جنباً إلى جنبٍ مع التأكيد والقسم والإثبات في (ليُنبذنّ)!!

وما يزيدها خصوصيّةً مجيئُها في صيغة الغائب المبنيّ للمجهول، فإذا كان من الصعب أن تجد في تراثنا شيئاً مثل:

كلاّ ليَفعَلَنّ هذا

هكذا في صيغة الغائب المبنيّ للمعلوم، فمن الأصعب أن تجد مثل:

كلاّ ليُفعَلَنّ

هكذا في صيغة الغائب المبنيّ للمجهول. وربّما وجدناها في القرآن في غير هذا الموضع بصيغة المبني للمعلوم، كقوله تعالى:

- ﴿ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِ ﴾ [الحجّ: ٦٧]

مع ملاحظة أنّ النهي في هذه الآية الأخيرة اعتمد على (لا)، وليس على (كلاّ).

وتقتصر السبيكة على هذه السورة، فلا تتكرّر بعد ذلك في باقي سوَر القرآن الكريم.

٥- الحُطَمَة. وما أدراكَ ما الحُطَمَة:

هذه سبيكةٌ مشهورةٌ تتكرّر عدّة مرّاتٍ في القرآن الكريم، ولا نجدها مع ذلك في الشعر ولا في النثر ولا في الحديث الشريف.

والنماذج القرآنيّة الآتية تساعدنا على فهم طبيعة تركيب هذه السبيكة. وهي تتلخّص في تكرار اللفظ نفسه مرّتين في آيتين متتابعتين، مع الفصل بينهما بالتعبير القرآنيّ الخاص ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ ﴾:

- ﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ ﴾ [المدّثر: ٢٦ - ٢٧]

- ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ﴾ [الطارق: ١ - ٢]

- ﴿ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣ ﴾ [القارعة: ٢ - ٣]

٦- إنّها عليهم مؤصَدةٌ. في عَمَدٍ مُمدّدةٍ:

فضلاً عمّا في هذه العبارة، التي قد تكون جملةً واحدةً وقد تكون اثنتين، من ألفاظٍ وعلاقاتٍ لغويةٍ قرآنيّةٍ جديدة، تحدّثنا عنها فيما مضى، تأتي تركيبتها الكلّيّة متميّزةً أيضاً.

فشِبه الجملة (عليهم) يتقدّم على ما يتعلّق به (مؤصدة) مع تأخير شبه جملةٍ آخر متعلّقٍ بهذا الأخير أيضاً أو بحالٍ مقدّرةٍ من الضمير المرتبط به (أي: مؤصدةٌ عليهم كائنين أو محبوسين في عَمَدٍ)، وإن كنّا لا نستطيع الجزم هنا بهذه المواقع الإعرابيّة نتيجةً لاختلاف التفسيرات المحتملة حول معنى الآيتين، وكذلك حول إعراب الآية الأخيرة بشكل خاصّ، كما سوف نرى في حديثنا عن المواقع المنفتحة في السورة.

رابعاً: مواقع منفتحة

١- ويلٌ:

إنّ اختلاف المفسّرين على معنى لفظٍ أو إعرابه، أو كليهما معاً، هو أوّل ما ينبّهنا إلى تعدّدية أبعاد اللفظ أو انفتاحه.

لقد اختلفوا كثيراً حول معنى (ويل) كما رأينا، وهل هو دعاءٌ، أم إنذارٌ، أم إخبار؟ وهل هو معرفةٌ، أم نكرة؟ وهل هو مبتدأٌ أم خبرٌ لمبتدأ محذوف (أي: هو ويلٌ)؟ وهل هو حقيقةٌ، أم هو مجازٌ (لأنه سَمَّى ما يؤدّي إلى الويل ويلاً)؟

وبازدياد الاختلاف على هذه الجوانب المتعدّدة للّفظ تزداد قيمته التعدّدية وصفته الانفتاحيّة على تقلّب العصور وتطوّر الثقافات.

٢- ٣- هُمَزةٍ لُمَزة:

اقترح المفسّرون لهذين اللفظين عشرات المعاني، وذهبوا في صيغتهما (فُعَلَة) مذاهب شتّى، فهل هي صيغةٌ عاديّة، أم صيغةُ مبالغةٍ، كما يقال: سُخَرَةٌ وضُحَكَة؟ وهل معانيهما حقيقيةٌ أم مجازيّة؟ هذا ما ينقله لنا القرطبيّ في تفسيره عن هذين اللفظين:

"وعن ابن عبّاس: أنّ الهُمَزة: القَتّات، واللُمَزة: العيّاب.

وقال أبو العالية، والحسن، ومجاهدٌ، وعطاء بن أبي رباح: الهُمَزة: الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل، واللُمَزة: الذي يغتاب مِن خلفه إذا غاب..

وقال مقاتلٌ ضدّ هذا الكلام: إنّ الهُمَزة: الذي يغتاب بالغَيبة، واللُمَزة: الذي يغتاب في الوجه.

وقال قتادة ومجاهد: الهُمَزة: الطعّان في الناس، واللُمَزة: الطعّان في أنسابهم.

وقال ابن زيد: الهامز: الذي يهمز الناس بيده ويضربُهم، واللُمَزة: الذي يلمِزهم بلسانه ويعيبهم.

وقال سفيان الثوريّ: يهمز بلسانه، ويلمِز بعينيه.

وقال ابن كيسان: الهُمَزة: الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ، واللُمَزة: الذي يكسر عينه على جليسه ويشير بعينه ورأسه وبحاجبيه.

وقال مُرّة: هما سواء."[1]

هذه المعاني الكثيرة التي أوردها القرطبيّ للّفظين، لم تُحصِ كلّ ما جاء في كتب المفسّرين من معانٍ، ومع ذلك فهي تعطينا فكرةً مبسّطةً عن طبيعة اللفظ المنفتحة وثروته الإيحائيّة.

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، ج٢٠، ص١٨١ - ١٨٢.

٤- الذي:

وهو لفظٌ حيّر علماء النحو أكثر ممّا حيّر المفسّرين. وربّما كان أصلَ الإشكال فيه مجيئُه بعد نكرة، كما رأينا، فاقترحوا أن يكون بدلاً من (كلٍّ) أو صفةً له أو لـ (هُمزة) أو (لُمزة)، أو لكليهما ولـ (كلٍّ) معاً.

وعارض آخرون، فاقترحوا التوقّف عند (لُمزة) والاستئناف من جديدٍ، ليكون لفظ (الذي) مبتدأً وخبرُه جملةَ (يحسَب)، أو يكون خبراً لمبتدأ محذوفٍ والتقدير (هو الذي)، أو يكون منصوباً على الذمّ بإضمار (أعني) أي (أعني هذا الذي جمع..).

إنّ مثل هذا التعدّدِ في الآراء يمنح اللفظ مكانته بين المواقع المنفتحة والمتجدّدة مع العصور.

٥- وعَدّدَه:

قيل في معنى (عدّده): جمع مالاً وأحصى عدده ولم يؤدّ حقّ الله فيه، أو: ضبَطه وأحصاه، أو: عدّه مرةً بعد أخرى، أو: أعدّه وأمسكه لنوائب الدهر، أو: أعدّه لمن يرثه، أو: فاض بكثرةِ عدده، أو: فاخر بعدده وكثرته، أو: امتلك أنواعاً متعدّدةً منه.

وبدهيٌّ أنّ تعدّد المذاهب في معاني اللفظ عائدٌ إلى جدّة استعماله وطبيعة السياق الذي ورد فيه، وقد رأينا أنّ الشعر العربيّ لم يعرف هذه الصيغة قبل الإسلام.

٦- يَحسَب:

تأتي القيمة الانفتاحيّة لهذا اللفظ من وضعه الإعرابيّ. فجملته خبرٌ للمبتدأ (الذي) كما يرى بعضهم، أو هي حاليّةٌ عند غيرهم؛ أي: يجمع ماله حاسباً أو ظانّاً

obeikan.com

أنّه سيخلّده، أو هي استئنافيّةٌ لا علاقةَ نحويّةً لها بما قبلها، فكأنّ الكلام توقّف عند (عدّده) ثم استؤنِف الحديث من جديد فقال: هو يحسب.

٧- كَلاّ:

قد عرفنا ما لهذه الأداة من خصوصيّةٍ في القرآن، وما منحته هذه الخصوصيّة لها من احتمالاتٍ متعدّدةٍ في معناها، تبعاً للسياق الذي ترد معه في كلّ مرّة.

وقد تكون هنا لنفي ما قبلها حين اعتقد صاحب المال أنّ ماله سيخلّده، وقد تكون زجراً له عمّا يفعل، كما قد تكون تأكيداً لما سيليها من حكمٍ عليه، فتكون هكذا بمعنى (حقّاً) أي: من المؤكّد أو حقّاً سيُلقى في جهنّم.

٨- لَيُنبَذَنّ:

في هذا الفعل أكثرُ من إشكال، ومن ثم أكثر من معنىً. فقد يكون المنبوذ في النار هو الشخص الذي يصفه القرآن بالهُمزة اللُمزة، وقد يكون أيضاً أيَّ شخصٍ آخر مثله، ولكنّه قد يكون أيضاً المال الذي يجمعه ويعدّده وليس الشخص نفسه.

ومن ناحيةٍ أخرى نستطيع أن نفهم (النبذ) هنا بأكثر من طريقة. فهو الطرح والإلقاء، وهو أيضاً التحقير والإذلال، وكذلك النفي والعزل والإبعاد والإهمال، وربما كانت هذه الأخيرة أشدّ العقوبات على الإطلاق لأهل النار: ألاّ تجد من يهتمّ بك ويشفق عليك من العذاب هناك، حتى أمّك وأبوك وأقرب الناس إليك.

٩- ١٠- الحُطَمَة (مكرّر):

اقترح المفسّرون لهذا اللفظ عدّة معانٍ:

منها أنّه يُطلق على الرجل الأكول، فهو على هذا صورةٌ بيانيّةٌ لإبراز هول جهنّم وطحنِها لمن فيها كما ينطحن الطعام بين فكّي الرجل النهِم. قيل: إنها تَحطم العظام وتأكل اللحوم، حتى تهجم على القلوب،

ومنها أنها الطبقة السادسة من جهنّم، قيل: هي الثانية أو الرابعة،

ومنها أنها اسمٌ آخر من أسماء جهنّم، وذهب الفرّاء في (معاني القرآن) إلى أنّ (الحُطَمة) من أسماء النار، كقوله تعالى: جهنّم، وسَقَر، ولظى، فلو ألقيت منها الألف واللام لما عادت اسم علمٍ فتكون مجرّد وصفٍ للنار.

ولكنّ أجمل ما في كلمة (حُطَمة) من طاقةٍ إيحائيّةٍ هو مجيء لفظها على الوزن نفسه لهُمَزة ولُمزة، أي (فُعَلَة)، وكأنّما في ذلك إشارةٌ إلى أنّ العقاب سيكون من جنس الجريمة، أو على قياس الجريمة التي أدّت إليه ونظيراً معادلاً لها.[1]

وما يهمّنا من كلّ هذا هو بروز القوّة الانفتاحيّة للكلمة، وقد اكتسبتها غالباً من جدّتها وجدّة المعنى الذي اكتسبته في القرآن.

١١- تَطَّلِعُ على الأفئدة:

اقترح المفسّرون للّفظ (تطّلِع) معاني عديدة:

منها أنه بمعنى (تطلُع) تقول: اطّلعتُ أرضي أي بلغت، وخصّ الأفئدة بالبلوغ، لأنّ الاحتراق إذا وصل إليها مات الإنسان، وهم لا يموتون، لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾،

ومنها أنه بمعنى (يصعد ويعلو) تقول: اطّلعت الجبل واطّلعت عليه؛ أي أنها تتسلّق إلى القلوب وتعلو عليها من غير أن تحرقها، وهذا من أجل أن يظلّ أصحابها أحياءً يذوقون طعم العذاب،

ومنها معنى الاطّلاع ومعرفة الشيء الخبيء، كأنّ النار تعلم مقدار ما يستحقّه كلّ واحدٍ منهم من عذابها، فتحرقه بحسب عمله.

---

(١) الدرويش، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، مرجع سابق، ج٨، ص٤١٠.

١٢- عليهم مؤصَدة:

رأينا كيف وقع الالتفات هنا في السورة، من صيغة المفرد، التي طبعت جميع الآيات التي سبقتها حتى الآن، إلى صيغة الجمع المتمثّلة بضمير الجماعة (هم).

وهذا الالتفات، من مفردٍ بعينه إلى جماعةٍ غير معيّنين لا يجمعهم إلاّ وجودهم في جهنّم، ولا تحدّدهم السورة، ولا تشير إليهم بأيّ ضميرٍ آخر بعد ذلك، يضفي على العبارة أطيافاً من المعاني، وأنواعاً من النماذج البشريّة التي نتخيّلها وهي تخضع لهذا العذاب.

كما أنّ اللفظ (مؤصَدة) جاء وصفاً للنار (الحُطمة) رغم أنه من صفات الأبواب عادةً لا النار، ممّا يمنح العبارة قوّةً مجازيّةً أخرى تضاعف من عنصر الخيال فيها وتزوّدها بشحنةٍ إضافيّةٍ من الصور والمعاني المحتمَلة.

١٣- في عَمَدٍ:

الجانب النحويّ في شبه الجملة هذا هو الذي رشّحه ليكون بين المواقع المنفتحة. فبم نعلّق شبه الجملة هنا؟

هل هو خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ هو (أصحاب النار) أي: هم موجودون أو محبوسون في عَمَد؟

أم أنّ المبتدأ هو النار نفسها التي أُغلق عليها داخل الأعمدة، فيكون التقدير: هي موصدٌ عليها في أعمدة؟

أم هي حالٌ من الضمير في (عليهم) أي: هي موصدةٌ عليهم في حال وجودهم فيها؟

أم هي خبرٌ ثانٍ للأداة (إنّ) أي: إنها موصَدةٌ وفي أعمدةٍ ممتدّةٍ متطاولة؟

١٤- في عَمَدٍ ممدّدة:

إنّ الاحتمالات المتعدّدة لتعليق شبه الجملة ﴿فِي عَمَدٍ﴾ سيضاف إليها الآن احتمالاتُ معاني (في) ومعاني (ممدّدة) وإعرابُها:

لقد ذهب بعضهم إلى أنّ أهل النار، أو أنّ النار نفسها، هي داخل الأعمدة.

وذهب آخرون إلى أنّ (في) بمعنى (الباء) فيكون المعنى: إنّ النار موصدةٌ عليهم بسياجٍ محكمٍ من أعمدةٍ لا يسمح لهم بالخروج منها قيد أنملة.

أمّا (ممدّدة) فيمكن أن تعني أنها مجرّد طويلة، ويمكن أن تعني أنها ممدّدةٌ من شدّة حرارة النار المتّقدة.

ولا شكّ أنّ تشابك هذه الاحتمالات المتعدّدة وتداخلها في الألفاظ الثلاثة من شأنه أن يولّد شحنةً قويّةً من الظلال والمعاني والأبعاد المتعدّدة لهذه العبارة.

خامساً: جوامع الكَلِم

إنّها تعبيراتٌ قرآنيّةٌ غدت معروفةً مشهورة، فسار بعضها على الألسنة وأصبح شأنه شأن الأمثال، أو شأن التعبيرات التي اصطلح عليها اللسان العربيّ. ومنها ما يصلح لأن يكون كذلك لو استخرجناه من آيات القرآن الكريم ونبّهنا إلى أهميّته ودورِه المحتمَل في إغناء معجمنا اللغوي.

ونجد من هذه التعبيرات في سورة (الهُمزة) ستّةً على الأقلّ:

١- ويلٌ لِكلِّ:

رغم جِدّة هذا التركيب على اللسان العربيّ حين نزول القرآن، غدا اليوم مألوفاً لدينا، كثير الجريان على اللسان. ومن السهل أن نتوجّه به، مثلاً، إلى مجموعةٍ من المشاغبين قائلين: ويلٌ لكلّ من تحدّثه نفسه بالاقتراب، أو نتوجّه به محذّرين لبعض الآباء: ويلٌ لكلّ أبٍ يترك أولاده للشارع ..

٢- هُمَزةٍ لُمَزة:

هذا التركيب القرآنيّ الخاص يصلح إطلاقه على كلّ من اعتاد الغيبة والنميمة أو الإيقاع بين الناس، أو من اتصف بالغطرسة والغرور واحتقار الآخرين والنيل منهم لسببٍ أو لغير سبب.

٣- جَمَعَ مالاً وعَدَّده:

تصلح للتعبير عن الإشفاق أو السخرية من امرئٍ همُّه في الحياة جمع المال، مع بخلٍ وسوء خُلق، أو لوصف من كان يوماً ما من أصحاب الجاه والمال فلم يحسن القيام عليهما فآل مصيره إلى الإفلاس والضياع.

٤- وما أدراكَ ما الحُطَمة:

وهذا التعبير يمكن أن نطلقه لإظهار شدّة ما ينتظر أحدَهم من عقابٍ جزاءَ سوء فعله، أو ربما لوصف شخصٍ مخرِّب، عاقلاً كان أو طفلاً صغيراً، يدمّر كلّ ما تصل إليه يداه.

٥- نارُ اللهِ المُوقَدة:

يمكن استخدام هذا التعبير للمبالغة في وصف الحرّ الشديد، أو ربّما للتعبير عن شدّة غلاء الأسعار، أو في وصف إنسانٍ شديد القسوة في التعامل، أو أيّ شيء تجاوز حدوده المعتادة.

٦- تَطَّلِعُ على الأفئدة:

ويمكن إطلاق هذه العبارة للمبالغة في وصفنا أو تعجّبِنا من قدرة فردٍ أو هيئةٍ أو حكومةٍ أو أجهزة أمنٍ على معرفة ما يدور في أذهان الآخرين، أو ما يجري من أمورٍ قد تَخفى عادةً على الكثيرين.